المجتمع الجزائري بين التحضر والبداوة

أ.النوعي عطاء الله

جامعة الاغواط – الجزائر

الملخص:

ما يزال المجتمع الجزائري يحتفظ ببعض القيم البدوية في معالم الحياة الاجتماعية في الوسط الحضري وبقاء العديد من الرواسب التي تغذي هذا النظام الاجتماعي في المدينة وهذا بالرغم من تبني الحياة الحضرية لمقومات التغير الاجتماعي كالتطور التكنولوجي والتصنيع وانتشار التعليم وزيادة الوعي الثقافي والسياسي التي كسرت أشياء كثيرة من الموانع والحواجز في أفكار الأفراد وتغير موقفهم من تلك القيم البدوية وتراجع في ممارستهم للعادات والتقاليد المتوارثة والتي لا تتناسب مع نمط الحياة الحضرية الجديدة.

Abstract:

Algerian society still keeps some bedouin values in the of social life inside urban environment consequently many effects feed nowadays the Social system in the city, despite the urban life is adopting the elements of social switch - as technological evolution, manufacturing ; the spread of education and the increasing of cultural and political awareness level - which broke many taboo and barriers embedded in the individual's thoughts :this led in respective to radical change of their attitude on those bedouin values and the decline of practice of their habits and inherited traditions that fit no longer with the new urban lifestyle.

مقدمة:

إن موضوع التحضر وأثره على القيم البدوية مرتبط ارتباط وثيق بالأسرة من خلال تحسين نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية لها الناتجة عن عملية التحضر لأن الأسرة تتأثر بمختلف التغيرات المحيطة بها سواء من الناحية المادية والاستهلاكية والحاجيات الأساسية لأفرادها أو من الناحية المهنية ونقصد بها البناء الاجتماعي كله عن طريق ما يتوارثه الأبناء من ارث ثقافي وقيم اجتماعية.

لقد حاولنا في هذه المقالة البحثية الموجزة تسليط الضوء على تغير القيم البدوية الأسرية كالزواج الداخلي واختيار الأهل لشريك الحياة ،والسلطة الأبوية وتفضيل الذكور عن الإناث، أو القيم الاقتصادية كالعمل اليدوي، والموقف من عمل المرأة، الضروريات والكماليات، أو قيم بدوية سياسية كالعصبية والولاء القبلي والعشائري وتمظهراته بالعلاقات الاجتماعية لدى الأسرة الجزائرية في ظل عملية التحضر والتغير الاجتماعي الذي مس ويمس هذه الظاهرة في شقها المعنوي الذي يعني ثباتها واستمرارها في المجتمع

الحضري مشكلة أساسية في تفسير نوعية القيم السائدة في هذا المجتمع والتي تحدد أفعال وسلوكيات واتجاهات الأفراد الذي يثير مجموعة من الإشكالات حول أسباب بقائها أو تغيرها ومدى تأثير التحضر عليها لدى الأسرة في المدينة.

أولا: التحضر:

ويقصد به تلك العملية التي تتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية أو عن طريق هجرة القرويين للمدن المجاورة، بما ذلك التغيرات التي تحدث لطابع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة في المدن[1].

– وهناك تعريف آخر يشير إلى أن عملية التحضر تعني تمركز السكان في المدن هذا ما يؤدي إلى تغير اجتماعي وثقافي وتدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية[2].

– ويذهب " أجون بيرجل" إلى أن التحضر هو بمثابة عملية في حين يعتبر الحضرية الحالة أو الظروف القائمة بمعنى أن التحضر هو الجانب الدينامي المتحرك في حين أن الحضرية هي الجانب الثابت والمستقر.

– ويعرفه الديمغرافيون على أنه عملية التمركز السكاني، وهذه العملية تتخذ طريقتين أساسيتين كما يرى " تزدال "تتمثل الأولى في تعدد مراكز التجمع أي نمو مراكز حضرية متعددة في حين أن الطريقة الثانية التي تتخذها عملية التحضر تتمثل في نمو التمركز السكاني الفردي: بمعنى زيادة حجم السكان في قرية من القرى جدير بأن يحولها إلى مدينة[3].

– ويرى لويس مسفورد أن قيام المدينة أو بمعنى آخر تطور الشكل القروي إلى شكل حضري يرجع إلى عدة أسباب أو عوامل توضح دراستها أن القرية هي الشكل السابق على قيام المدينة، وأن التحول من الشكل الأول إلى الشكل الثاني لا يرجع إلى مجرد الزيادة في عدد السكان التي استلزمتها ظروف التحول من مهنة الصيد إلى مهنة الزراعة، إذ تعتبر الزيادة السكانية أحد العوامل المساعدة على التحول فقط، وأن هناك عوامل أخرى حولت هدف القرية إلى أبعد من مجرد الرغبة في الاستمرار والاهتمام بمسائل الغذاء والتناسل فحسب.

– ثانيا: مراحل تطور المدينة:

ويرى **ممفورد** أن المدينة تمر بالمراحل الآتية:

---

[1]– عبد المنعم شوقي، **مجتمع المدينة**، الدار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 23.

[2]–محمد بومخلوف، **دراسات في المجتمع العربي المعاصر (التحضر وواقع المدن العربية)** ، تحرير: خضر زكرياء، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1999، ص83.

[3]– فادية عمر الجولاني، **التغير الاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص، ص43–44.

1. مرحلة النشأة Eopolis:

– يقصد بها المدينة في فجر قيامها، وتتميز بانضمام بعض القرى إلى بعضها البعض، واستقرار الحياة الاجتماعية إلى حد ما . وقد قامت المدينة في هذه المرحلة بعد اكتشاف الزراعة، واستئناس الحيوان وتربية الطيور، وقيام الصناعات اليدوية والحرفية البسيطة، واكتشاف الإنسان المعادن. وهكذا ظهرت المدن الأولى في العصر الحجري الحديث، وعصر اكتشاف المعادن.

– ونشير هنا إلى أن أولئك الذين استخدموا الأسلحة المعدنية كان لهم التفوق الحربي على أولئك الذين يستخدمون الحجارة. ومن المسلم به أن ما له أهمية حضرية ليس عدد السكان وحده في مساحة محددة من الأرض بل العدد الذي يتسنى وضعه تحت سيطرة موحدة، بحيث يتكون مجتمع له طابعه الخاص، ويستهدف أغراضا تتجاوز حاجات الغذاء والبقاء، أما الزراعة فهي تدفع بممارسيها إلى العمل الزراعي دون غيره، وهي مهمة تباعد بين الريفيين وبين الابتكار والاختراع واستخدام أدوات الحرب.

– وكانت الجماعات التي تكون المدن في البدء جماعات مرتبطة برباط الدم والقرابة كما مارس رجال الدين نشاطا أساسيا في حياة هذه المد ن. وتفتقر هذه المدن إلى التمييز الواضح بين مناطق الإقامة والتجارة والصناعة.

2. مرحلة المدينة Polis:

– وتمتاز بوضوح التنظيم الاجتماعي والإداري والتشريع وتنبثق فيها التجارة وتتسع الأسواق المتبادلة، وتتنوع الأعمال والوظائف والاختصاصات، وتتسم بالتمييز الطبقي بين مختلف الفئات، واتساع أوقات الفراغ، وظهور الفلسفات، ومبادئ العلوم النظرية، والاهتمام بالفلك والرياضيات، وقيام المؤسسات والفنون ونشأة المدارس، وعقد المناظرات والمساجلات.

3. مرحلة المدينة الكبيرة Metropolis:

– وتعرف بالمدينة الأم ويتكاثف فيها عدد السكان، ويتوفر فيها الطرق السهلة، وتربطها بالريف شبكة من المواصلات وتهتم الحكومة فيها بتحقيق مطالب سكانها، وتنفرد بمميزات خاصة كالتجارة والصناعة، وتنوع الوظائف، وتعدد المهن، والتخصص، ونشأة المعاهد الفنية العليا. وقد تصل بعض هذه المدن إلى عاصمة منطقة أو دولة، وتصبح المركز الرئيسي للحكومة أو الإدارة المحلية، وتتركز فيها كل مظاهر النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحيث تصبح بحق "المدينة الأم".

4. مرحلة المدينة العظمى Megalopolis:

– وتتمثل في انبثاق المدن العظمى في القرن التاسع عشر، فقد تحولت المناطق الريفية إلى أراضي بناء في موجات متتابعة، ويبدو أن هذه المدن التنظيم الآلي والتخصص وتقسيم العمل. وتأخذ الفردية في الظهور، وتنتشر النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم.

– وفي هذه المرحلة يبدأ ظهور الانحلال والشقاق بسبب تحكم الرأسمالية، ويتسارع أصحاب الأعمال والعمال. وقد يأخذ هذا الصراع مظاهر إيجابية تؤدي إلى حدوث الاضطرابات والتخريب والتدمير، ثم قيام الحك ومات المحلية بأعمال القمع والتعذيب والتشريد، وتنتشر كذلك الانحرافات والجرائم في محيط الأحداث.

5. مرحلة المدينة الطاغية Tyrannopolis:

– وتمثل أعلى درجات السيطرة الاقتصادية للمدينة، ففيها تعتبر مسائل الميزانية والضرائب والنفقات، من أهم الميكانيزمات المسيطرة، كما تبدو المشكلات الإدارية الفيزيقية والسلوكية الناجمة عن كبر الحجم، ومن ثم سيشهد هذا النموذج حركة واسعة النطاق من جانب سكانه للارتداد مرة أخرى إلى الريف أو إلى مناطق الضواحي والأطراف هروبا من طرف العيش غير المرغوبة.

6. مرحلة المدينة المنهارة Nekropolis:

– ويمثل هذا النموذج من المجتمع الحضري نهاية المطاف في مراحل التطور التاريخي. ومع أنه لم يتحقق بعد، إلا أنه واقع لا محال في نظر ممفورد–عندما يصل التفكك إلى ذروته على أثر حرب أو ثورة أو انقلاب، فتأفل الحضرية وتحيي الريفية، وتظهر ما أسماه ممفورد بمدن الأشباح"[1].

– وفي الأخير يمكننا القول أن المدينة هو بناء متكامل يشمل تجمع إنساني فوق جغرافية ذو كثافة عالية وعلاقات متبادلة من خلال مؤسسات إدارية ترتكز على أنشطة اقتصادية وتجارية و خدماتية تحت قانون واحد يطبق على الجميع .

ثالثا: البداوة، التوطين، التنمية:

– خلص الباحثون إلى أن البداوة هي نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة، يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة بها من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية، وعلى مدى الأمن الاجتماعي والبيئي الذي يمكن أن يتوافر له من ناحية ثالثة.

– كما تعرف البداوة على أنها اصطلاح يطلق على طبيعة فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوكيات خاصة ترسمها البيئة المحيطة بهم، ولا تسمح بإقامة حياة سكنية مستقرة، فالبداوة تعني الترحال، أو عدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات إلى أن تغير مناطق إقامتها من آن لآخر، أو من فصل لآخر سعيا وراء الغذاء أو المرعى أو التجارة، كما هو الحال في كثير من أقاليم السهوب والصحاري.

[1]– حسين عبد المجيد، **مشكلات المدينة، مرجع سابق**، ص.ص 22.19.

– فالبداوة والترحال تتلازم مع البيئة الصحراوية. فقد نشأ هذا النمط في البادية، وتكون تاريخيا نتيجة لتفاعل دائم وطويل مع هذه البيئة استجابة لحدودها وقسوتها ومتطلباتها وأن البيئة الصحراوية هي التي حددت في الأساس حجم الجماعات التي قطنتها. والتنظيم الاجتماعي المتبع من قبل هذه الجماعات، وأساليب معيشتهم وقيمهم وعاداتهم وأعرافهم.

– ولهذا يتضح أن هناك مجموعة من العناصر والمقومات التي تلعب دورا كبيرا في تحديد شكل البداوة خصوصا في المجتمعات العربية، وهي:

– – البداوة نمط حياتي متكامل يتضمن ثقافة مادية وأخرى معنوية،

– – أن للإيكولوجيا تأثيرا على تشكيل أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان، وهي أمر ضروري إذا وضعنا في اعتبارنا أن هناك أشكالا متعددة من البداوة تختلف فيها أنماط الحياة والأنشطة الأساسية للإنسان.

– أن أسلوب العيش يتطلب الترحال والتنقل، ولكن هذا لا يمنع من الاستقرار المؤقت لبعض الجماعات البدوية، وبخاصة تلك التي تمكنت من مزاولة الزراعة في الواحات كوسيلة للعيش.

– لا تعتمد حياة البدوي على شكل واحد من النشاط الاقتصادي، لأن التوزيعات الحديثة لأشكال البداوة تتضمن صورا مختلفة منها الرعوية، والزراعية المؤقتة أو الموسمية، والبداوة البحرية، وغيرها ولكل هذه المجموعات أنشطة تختلف بعضها عن بعض باختلاف البيئة التي يعيش فيها الإنسان.

– أن البداوة تعد مفهوما "بندوليا" في تحديد معناها وفي واقعها الاجتماعي والثقافي، فإن مفهوم "البدو" هو أيضا اصطلاح مطاط في استعماله خصوصا في المجتمعات البدوية العربية، والشائع في استعماله للدلالة على سكان الصحراء المتنقلين، إضافة إلى مفهوم "الرعاة" من العرب الذين يقتربون في تصنيفهم ضمن فئات المجتمع المستقرين، سواء كان استقرارهم في مدن أم في قرى ويعرفون باسم "الحضر" ثم الرعاة المتجولين ويعرفون باسم "الرحل"، ويحق لهم أن يسموا عربا وينقسم الرحل بدورهم إلى فريقين: أولئك الذين يعتمدون على الإبل وهم البدو، ثم الذين يعتمدون على أنعام أخرى كالغنم والماعز والماشية ويسمون أحيانا بأنصاف البدو.

ومن هنا جاءت خصائص البداوة والمجتمعات الرعوية محاطة ومحكومة بإطار من "العوايد" أو "الدرايب" العرفية المتوارثة، ومعبرة عن ارتباطها الوثيق بالعرب والعروبة الأصيلة، وذلك على النحو التالي:

– التنقل والترحال والهجرات الدائمة، وأثر ذلك كله في صياغة الحياة العربية وانتشار العروبة والقيم العربية.

– القيم البدوية والميل إلى النزعة الاستقلالية والحرية الفردية والتمسك بمبادئ الشرف والفخر بالأنساب والكرم والضيافة، والوفاء للحياة العائلية والعشائرية.

– الظروف البيئية القاسية وما أوجدته من جوانب للتنازع والتنافس بين القبائل، وهو ما يمثل الجانب السيئ من الصورة السابقة، فيجعل الحياة البدوية لا تخلو من التوتر والغزوات والاضطرابات.

– صعوبة التحكم الإداري والسياسي في المجتمع البدوي لاسيما كل ما كان ذلك المجتمع ممعنا في البداوة تتبعثر في جنباته الجماعات الصغيرة هنا وهناك في مساحات واسعة.

– يتميز المجتمع البدوي بإيمانه العميق بالذاتية وضعف الروح القومية إلا فيما يتصل بالقبلية التي نظمت العادات والتقاليد وصلة الأفراد بها، وفرضت عليهم حقوقهم نحوها، وهنا تكون "عوايد" العرف أقوى من أي قانون تضعه دولة أو حكومة.

– العدوان في عرف قانون البادية لا يرد إلا بالعد وان المماثل ولا حاجة للشكوى إلى حكومة لتقوم هي بالقصاص.

– البادية واقتصاد الكفاف وسعيهم الدائب نحو التكيف مع الظروف الطبيعية القاسية.

من أبرز قيم البداوة:

– قيم العصبية

– قيم الكرم والضيافة

– قيم المعيشة.

رابعا: التنمية والتحضر:

التوطين عن مفهوم التحضر، على ذلك فإن تحضر البدو يمكن أن يعنى انتقال جماعات بدوية إلى المدن والمعيشة فيها وما يتضمنه ذلك من تغيرات في الحياة الاجتماعية والثقافية للبدو، كما يمكن أن يعنى انتشار طرق التفكير وأنماط السلوك الخاص بالمناطق الحضرية بينهم نتيجة مؤثرات معينة مثل وسائل الاتصال.

فالبدو عندما يتعرضون لعوامل تساعد على تحضيرهم يمكن أن يستقروا ويتوطنوا في أماكن معينة، وعندما يحدث التحضر في المناطق المحيطة بهم، يمكن أن يساعد ذلك على جذب البدو إلى المناطق الحضرية والتوطن بها، وعندما يزداد تحضر المجتمع بصفة عامة فإنه عادة ما يفكر المسئولون بجدية أكثر في عملية استقرار البدو.

خامسا: ديناميات التحضر في الريف:

مؤشرات الفجوة الحضرية الريفية لقد اتسعت الفجوة الثقافية والاقتصادية الريفية الحضرية في العالم مع نمو المدن السريع وازدهارها عمرانيا واقتصاديا وصناعيا وحرفيا وثقافيا وقد بقي الريف في هذه الأقطار يعاني من الفقر والجهل والمرض على الرغم مما أحرزته مدنها من تقدم على مختلف المستويات

ومن الطبيعي أن حرمان الريف من قنوات التحضر بسبب ضعف تفاعله وتواصله مع المدن خلق إشكاليات تنموية بالغة التعقيد لعل من أخطرها تركز الثروات والمهارات والمستوى التعليمي العالي والخدمات المدنية الأساسية في المدن بينما لا تحصل الأرياف إلا على قليل منها، وعندما تدخل متاهات الإصلاح والعلاج لهذه الإشكالية نواجه حلقة مفرغة تسيء إلى الريف أكثر مما تخدمه وهي أن معظم حملة الشهادات الجامعية والمتخصصين في المجالات العلمية والطبية والهندسية والتقنوقراطية هم من الطبقة المتوسطة القاطنة في المدن، وهذا ي نطبق على المبعوثين للدراسة في جامعات الغرب. ومن الواضح أن خلفية جميع هؤلاء وتعودهم على حياة الترف والرفاء والترويح والربح الأعلى في المدن يسهم في تمسكهم بحياتهم هناك. وعلى هذا فالخدمات والمساهمات التي ينتظرها الريفيون منهم لا تأتيهم إلى الريف بل لابد لهم من الذهاب إلى المدينة للحصول عليها. والعزوف عن العيش والعمل في الريف يشمل معظم المثقفين وأصحاب الكفاءات وهذا يعني ضمنا أو صراحة أن القوى العلمية والتقنية التنموية التي تتوقف عليها تنمية الريف الاقتصادية والاجتماعية والصحية تسهم في تنمية المدن أضعاف مضاعفة لإسهامها في الريف حيث تكون الحاجة إليها أشد إلحاحا. وبناء على كل هذه التوجهات الحضرية الموغلة في الانحياز إلى المدن يصبح من باب الكلام المثالي والطوبائي الحديث عن الهجرة المعاكسة من المدن إلى الريف ما دامت حركة السكان الحالية تجري على العكس تماما، أي من الريف إلى المدن. ولكي تنجح فكرة الهجرة المعاكسة فإنها تتطلب توفر شروط تعجيزية سيمر وقت غير قصير على أقطار العالم الثالث قبل أن تستطيع توفيرها للمثقفين والخبراء الحضر لكي لا يؤدي تخليهم عن المدن إلى الأرياف إلى أضرار فادحة يتعرضون لها والتي تفسر سبب رفضهم الحالي لحياة الريف.

سادسا: التحضر في الدول العربية:

ويمكننا تقسيم دول العالم العربي إلى ثلاث مجموعات على أساس نسبة السكان الحضر في كل منها:

1. **المجموعة الأولى:**

والتي تقل فيها نسبة سكان الحضر عن 25% من مجموع سكان الدولة ويطلق عليها دول متدنية التحضر وتشمل أقطار السودان والصومال وموريتانيا وعمان واليمن.

2. **المجموعة الثانية:**

وتتضمن تلك الدول التي تتراوح فيها نسبة التحضر من 25%-50% ويطلق عليها دول متوسطة التحضر كسوريا والمغرب ومصر والجزائر وهذه الأقطار تحوي نسبة عالية من السكان الحضر غير أن كبر حجم السكان الكلي يخفي العدد الكبير من سكان المدن فتبدو نسبة سكان المدن متدنية نسبيا.

3. **المجموعة الثالثة:**

وهي الدول ذات المستوى الحضري العالي حيث تزيد نسبة التحضر عن 50% وتدخل ضمن هذه المجموعة أقطار الخليج العربي عدا عُمان بالإضافة إلى الأردن وفلسطين المحتلة ولبنان وتونس وليبيا.

وعند إمعان النظر في الظروف التاريخية التي صاحبت عملية التحضر يمكن أن تقسم أقطار العالم العربي بموجب هذه الظروف إلى ثلاثة أنواع متباينة أيضا هي:

1. **التحضر القاعدي:** هو عملية النمو الحضري التي يكون فيها التطور تدريجيا ارتقائيا، والنمو الحضري القاعدي يكون عادة انعكاسا للتناسق في التحول الذي تشهده القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية فالتوازن في نمو هذه القطاعات يؤدي إلى اتساع مستمر في أنشطتها مما يخلق لديها قدرات استيعابية واسعة لامتصاص المزيد من الأيدي العاملة التي تتحول مع الأيام إلى سكان حضر وتعتبر مصر وسوريا والعراق والجزائر والمغرب ممثلة لهذا النمط من التحضر.

2. **التحضر البدائي:** ويعكس ذلك حياة دول أما إنها تدخل في الحياة الحضرية الحديثة إلا منذ فترة وجيزة أو أنها تخلف عن اللحاق بسلسلة التطورات الحضرية الواسعة التي شهدها العالم فتطور قطاعاتها الإنتاجية بقي محدودا ومرتبطا أساسا باقتصاديات بسيطة غير متطورة كالزراعة . ومما يزيد من التخلف الحضري لهذه الدول أن أدوات الإنتاج وأساليبه تكون بدائية إلى درجة لا تسمح بتكوين فائض إنتاجي يسمح بتوسع القاعدة الاقتصادية الحضرية، كما أن مثل هذه الدول بحكم ظروفها الطبيعية الصعبة قليلة السكان أو الكثافة السكانية، ولهذا فإن احتمال نمو وتطور نويات حضرية كبيرة ضئيل، وتعتبر أقطار اليمن والصومال وموريتانيا أمثلة بارزة لهذا النوع من التحضر.

3. **النمط الفجائي:** إن النمو الحضري في هذا النمط من التحضر يكون سريعا وفجائيا بحيث يخرج عن المعدلات المألوفة، والتحضر السريع يأتي نتيجة تغيرات فجائية كالتطور في أساليب الإنتاج، وكأن يحدث تطور تكنولوجي يؤدي إلى تطور اقتصادي سريع وهذا التطور الاقتصادي يؤدي إلى جذب آلاف المهاجرين الذين يتحولون إلى سكان حضر وتأتي هذه التغيرات الفجائية أحيانا نتيجة اكتشافات لمصادر الثروة مما يؤدي إلى اندفاع السكان بحثا وراء فرص اقتصادية جديدة[1].

سابعا: التحضر ومراحله في الجزائر:

1. **فترة الاحتلال إلى غاية 1954:**

غلب هذه الفترة العمران الريفي ولم تعرف الجزائر تحضرا في هذه الفترة ويعود سبب ذلك إلى السياسة التي انتهجها المستعمر الفرنسي اتجاه الأهالي الذين شردهم وجردهم من ممتلكاتهم وحاول

[1]– محمد محمد السرياني، **ملامح التحضر في الملكة العربية السعودية**، مطابع جامعة أم القرى مكة، 1412هـ. ص ص17–20.

إرجاعها إلى الوراء أي الريف لينتزع بعد ذلك كل ما يتمتعون به من حقوق وممتلكات ونهبها بأشكال متنوعة ومتعددة فكان الملجأ لهؤلاء السكان هو الريف الذي أصبح مصدرا للأغذية، كما عرفت هذه المرحلة نوعا من العمران اسمه عمران المقاومة الذي كان رد فعل من طرف السكان على السياسة التي انتهجها الاستعمار. أم بخصوص الذين بقوا في إقامتهم الحضرية فعاشوا على هامش الحياة الحضرية الحقيقية وتحتوي هذه الفترة في محتواها على ثلاث فترات هي:

الفترة الأولى: غلب عليها التشريد والطرد ونزع الممتلكات والنزوح نحو البوادي والأرياف.

الفترة الثانية: من مطلع القرن إلى اندلاع الثورة التحريرية وتميزت بظهور بيوت الصفيح .

الفترة الثالثة: فترة الثورة المسلحة وتعتبر مميزة بخصوص ظاهرة التحضر.

2. **فترة الثورة التحريرية:**

عنف الحرب تسب في حركة جغرافية من الأرياف إلى المدن إضافة إلى السياسة المنتهجة من طرف المستعمر في فصل المجاهدين على الأرياف التي تزودهم بالمئونة فقامت بإقامة المحتشدات وهدم القرى وترحيل سكانها وترتب عن هذه السياسة ظواهر عمرانية تمثلت في:

- تدمير العمران الريفي وحل محله عمران المحتشدات والمراكز العسكرية والمناطق المحرمة .
- انتشار عمران المحتشدات وهدفها قطع الاتصال بين الثوار والمجاهدين وشعبهم .
- التحضر السريع ونتج عن الهجرة من الأرياف إلى المدن والتي مست 70% من السكان الجزائريين.
- انتشار عمران الصفيح و قد ظهر قبل اندلاع الثورة و ازداد أكثر بعدها .

3. **الفترة الأولى الاستقلال:**

بفضل الاستقلال نمت المدن و توسعت مثل مدينة الجزائر، كما تميزت هذه بالهجرة الواسعة من الأرياف نحو المدن بسبب فرحة الاستقلال و كان الوضع الحضري مشجعا على ذلك كما أنها (الفترة) تميزت بعدة خصائص:

- احتلال البنايات الشاغرة فأصبح يحيط بالمسكن بالبناية الواحدة عدة بنايات طوقته .
- الاستقرار بإحياء الصفيح، كما في مدينة الجزائر و تكونت إحياء جديدة من هذا النوع.
- تملك الأراضي و البناء من اجل السكن في الضواحي .

4. **فترة التنمية الصناعية (1967-1989):**

ظهرت فيها سياسة التصنيع والتوطين الصناعي مما أدى إل تدعيم التحضر والحياة الاجتماعية الحضرية وظهور مدن صناعية عبر التراب الوطني وقد عرفت هذه الفترة مرحلتين متميزتين:

– الأولى سنة 1967 إلى غاية 1978 وأهم ما ميز هذه الفترة التصنيع وما يتمتع به من أقطاب تنموية وصناعات ثقيلة .

– الثانية من 1978–1989 تميزت بتدعيم الصناعات الخفيفة بالدوائر والبلديات والتخفيف من المركزية الحضرية الصناعية وعرفت هذه المرحلة وعيا وطنيا وسياسيا بمشاكل النمو الحضري، وقامت الدولة بترحيل سكان البيوت القصديرية إلى مناطقهم الصناعية ومعالجة المشكلات القانونية والفنية للعمران الغير مخطط[1].

5. فترة التحول الديموغرافي:

بلغ عدد السكان المقيمين في الجزائر بأكثر من 22 مليون نسمة سنة 1987 وبذلك يكون قد ارتفع في الفترة ما بين 1977–1987 بمعدل (35.5%) إذا كان يبلغ أكثر من 16 مليون نسمة في التعداد العام للسكان والسكن الذي أجري في عام 1977[2].

كما عرفت هذه المرحلة تخلخلا كبيرا ريفيا وحضريا والنزوح نحو مناطق أخرى حتى داخل نطاق المدينة الواحدة، ولعل مدينة الجزائر تعتبر مقياس لظاهرة التحضر التي عرفتها هذه الفترة باعتبارها المدينة التي تستقطب السكان على مستوى الوطني فقد بلغ معدل النمو السنوي للسكان لمدينة الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1990–1995 نسبة (4%) وهو يزيد بكثير عن النمو الطبيعي للسكان بينما بلغ هذا المعدل في الفترة 1970–1975 نسبة (42%) [3].

خاتمة:

إن القراءة السوسيولوجية لعملية التحضر يحتاج إلى فهم قابلية الأسرة وافراد المجتمع ككل لتغير تلك القيم البدوية والمعتقدات والعادات والتقاليد والنهي عنها أو على الاقل تغير الموقف منها لأن النظرة لا تعني فقط السكن في المدينة بل هي ممارسات يومية وتفاعل في العلاقات الاجتماعية بين مكونات ثقافية مختلفة بين افراد المجتمع بالعموم والاسرة بالخصوص لأن هذه الاخيرة تعتبر مقومات الوجود الاجتماعي للمجتمع الجزائري وهي الوحدة التنظيمية الأهم وأقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فهي أول من يتولى اعداد الفرد ليكون كائنا اجتماعيا إذ من خلالها يتم نقل التواعد والقيم والمعايير والسلوكات بين الأجيال فمن خلالها يتم تلقين ثقافة المجتمع في بناء الشخصية.

[1]– محمد بومخلوف، **التحضر**، دار الأمة للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2001، ص ص 122–124.

[2]–بشير التجاني، **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر**، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر، 2000، ص 28.

[3]–محمد بومخلوف، **التحضر، مرجع سابق**، ص 136.

ولذلك كانت هذه المقالة التي تهتم بتغير القيم البدوية للأسرة سواءا القيم الأسرية أو الاقتصادية أو السياسية في ظل عملية التحضر، لأن هاته القيم الاجتماعية لها دور كبير في تكوين عناصر الثقافة وتشكل البناء الكلي للمجتمع ، لكن المشكلة تبدو عند حدوث الكثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية مع بقاء الأفكار والأنماط الثقافية المتوارثة عن الأجداد والآباء من نمط الحياة البدوية مستمرة في المدينة وتجمدها بما لا يلائم الظروف الجديدة ،إذا يلاحظ اليوم في مجتمعنا التغير في الجوانب المادية من الضروريات إلى الكماليات من الحياة إلى حد الترف مع تباطئ هذا التغير في الجوانب المعنوية كالقيم الاجتماعية.

*** قائمة المراجع:**

1. عبد المنعم شوقي، **مجتمع المدينة**، الدار النهضة العربية، بيروت، 1981.
2. محمد بومخلوف، **دراسات في المجتمع العربي المعاصر (التحضر وواقع المدن العربية)** ، تحرير: خضر زكرياء، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1999.
3. فادية عمر الجولاني، **التغير الاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
4. حسين عبد المجيد، **مشكلات المدينة، مرجع سابق**.
5. محمد محمد السرياني، **ملامح التحضر في الملكة العربية السعودية**، مطابع جامعة أم القرى مكة، 1412هـ.
6. محمد بومخلوف، **التحضر**، دار الأمة للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2001.
7. بشير التجاني، **التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر**، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر، 2000.